

أساليب القرآن الكريم في تقرير الألوهية

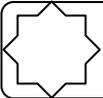
✍ د. محمد إبراهيم أحمد إبراهيم (*)

□ المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله على جميع هداياته ومعارفه وعطاياه وعوارفه وأفضاله، والتحيات الطيبات المباركات وإكرامه، على رسوله وحببيه وصفوته محمد الأمين خاتم النبيين والمرسلين، الذي جعل الله الذلة والصغار على من خالف أمره كما ورد به القرآن المبين و الحديث المتين حيث قال رب العالمين في بعض المخالفين له في الدين ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا هُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ [١٥٢] وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿ [الأعراف: ١٥٣-١٥٤]، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، والصحابة أجمعين الصادقين السابقين، والذين أتوا من بعدهم من التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن بيان التوحيد والدعوة إليه من أجل المهام وأعظم الواجبات، خاصة توحيد الألوهية الذي هو سر القرآن ولب الإيمان، وكما تنوعت العبارة بوجوه الدلالات لبيانها هو من أهم الأمور وأنفعها للعباد في مصالح المعاش والمعاد، يقول شيخ الإسلام ابن

(*) أستاذ مساعد بكلية أصول الدين بجامعة أم درمان الإسلامية .



تيمية: (فإن هذه القواعد المتعلقة بتقرير التوحيد، وحسم مادة الشرك والغلو كلما تنوع بيانها ووضحت عباراتها، فإن ذلك نور على نور)⁽¹⁾ ولهذا استعنت بالله تعالى على كتابة هذا البحث بهذا العنوان (أساليب القرآن الكريم في تقرير الألوهية) لعظمة أساليب القرآن وقوة حجتها ووضوح خطابها، فقد جاءت بأفصح عبارة وأفضلها وأجزها، وفي مناهج وأساليب القرآن من تمام البيان والتحقيق ما ليس في غيرها، كما أنها المنهج القويم لعلاج مظاهر الشرك في الألوهية في هذا العصر وفي غيره.

وهذا من أهم أهداف هذا البحث، الذي جاء في مبحثين، وجملة مطالب، لبيان استحقاق الله تعالى للعبادة، وبطلان عبادة غيره سبحانه.

المبحث الأول: أهمية الألوهية والدعوة إليها وبيان معناها:

المطلب الأول: أهمية الألوهية والدعوة إليها:

إن قضية الألوهية وعبودية الله تعالى وحده، لا شريك له، لهى أهم قضية على الإطلاق، عند الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وعند الصالحين والمصلحين من

بعدهم، في كل زمان ومكان، وهذه الحقيقة واضحة لمن تدبر القرآن الكريم، ووقف

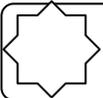
مع قصص المرسلين والمصلحين، فسيجد أن محور الصراع بينهم والأمم والشعوب، هو في الألهة التي عُبِدت من دون الله تعالى، عندما أصاب البشرية الانحراف، في هذا الأصل العظيم،

بعد أن كانوا على التوحيد، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ

وْمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ

أُوْتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ

(1)، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية، دراسة وتحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، ص/244



يَاذِنَهُ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ [البقرة: ٢١٣] ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على الإسلام) [١] قال ابن القيم رحمه الله: (هذا القول هو الصحيح في الآية) [٢] ، وصحح هذا القول أيضا ابن كثير رحمه الله [٣] وأول ما حدث الشرك والانحراف في الألوهية على الأرض في قوم نوح حين غلوا في الصالحين، ولهذا يقول الشيخ الألباني في فوائد الحديث السابق: (وفيه فائدة هامة؛ وهي أن الناس كانوا في أول عهدهم أمة واحدة على التوحيد الخالص، ثم طرأ عليهم الشرك، خلافاً لقول بعض الفلاسفة والملاحدة؛ أن الأصل فيهم الشرك ثم طرأ عليهم التوحيد؛ ويبطل قولهم هذا الحديث وغيره مما هو نص في نبوة أبيهم آدم عليه السلام، إلى أدلة أخرى) [٤] وقال الله تعالى مبينا هذه الحقيقة، ﴿ وَقَالُوا لَا نَدْرَنَ ءِالْهَتَكَ وَلَا نَدْرَنَ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا نَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿ [نوح: ٢٣- ٢٤]

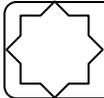
وهذه أسماء أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، فعن ابن عباس: صارت الأوثان

(١) أخرجه الحاكم في المسترك برقم 480/2 3654 وصححه، ووافقه الذهبي وقال صحيح على شرط البخاري، والطبراني في الكبير والأوسط برقم 7423، و صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 3289.

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية، 1395 - 1975، تحقيق: محمد حامد الفقي 203/2

(٣) تفسير القرآن العظيم، 234/8 لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م.

(٤) السلسلة الصحيحة 92/13، تحذير الساجد ص 147 - 150

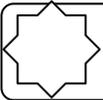


التي كانت في قوم نوح في العرب بعد: أما ود: فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع: فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراء، ثم لبني غطفان بالجرف عند سبأ، أما يعوق: فكانت لهمدان، وأما نسر: فكانت لحمير لآل ذي كلاء، وهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح، عليه السلام، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم. ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتَسَخَّرَ العلم عُبدت) ﴿٥٣﴾ وكذا روي عن عكرمة، والضحاك، وقتادة، وابن إسحاق، نحو هذا. ﴿٥٤﴾

ثم انتقل هذا الانحراف للأمم الأخرى حتى أصبح ردها وابطالها القضية الأولى للأنبياء والرسل عليهم السلام، وهذا ما حكاه الله تعالى، عن نبيه هود عليه السلام مع قومه عاد، وخصومتهم له في الآلهة، فقال الله سبحانه ﴿قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ وقال الله تعالى في شأن صالح عليه السلام وقومه: ﴿وَالَّذِي نُمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَفُورِمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٦٢﴾﴾ [هود: ٦١-٦٢]

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب (ود ولا سواعا ولا يغوث ونسرا) برقم 4920

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 235/8



وشأن الخليل إبراهيم أبو الأنبياء عليه الصلاة والسلام في ذلك ظاهر، قال الله تعالى

عنه : ﴿ وَإِتَّ مِنْ شَيْعِنِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَفِيكَاءَ إِلَهَةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ [الصفات: ٨٣- ٨٧]

، وكانت نتيجة هذه الخصومة بين إبراهيم عليه السلام وقومه في الآلهة، ما بينه الله في كتابه

بقوله تعالى : ﴿ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ

لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا

وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا

ءَالِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَنْبَأُ كُفْرِي بَرَدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا

فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ [الأنبياء: ٦٤- ٧٠] وهذا المعنى أيضاً جاء في قصة يوسف عليه

السلام مع بعض قومه: يقول تعالى : ﴿ وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ

لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ

﴿٣٨﴾ يَلصَحِي السَّجْنِ ءَأَرْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ

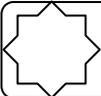
إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا

تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ [يوسف: ٣٨- ٤٠]

وهكذا ظل الصراع ممتداً بين الرسل والأمم والشعوب في هذا الشأن، حتى وصل إلى

كليم الرحمن موسى عليه الصلاة والسلام، كما في قوله سبحانه : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ

فِرْعَوْنَ أَتَدْرُؤُونَ قَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرُّكَ وَعَالِهَتِكَ ؕ قَالَ سَنَقْتِلُنَّ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي



نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿ [الأعراف: ١٢٧] قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله، وقوله: { وَيَذَرُكَ وَآلِهَتَكَ } قال بعضهم (الواو) هنا حالية، أي: أتذره وقومه يفسدون وقد ترك عبادتك؟ وقرأ ذلك أبي بن كعب (وقد تركوك أن يعبدوك وآلهتك) ^(١) وقال آخرون: هي عاطفة، أي: لا تدع موسى يصنع هو وقومه من الفساد ما قد أقررتهم عليه وعلى تركه آلهتك. وقرأ بعضهم: {إلهتك}، ورؤي ذلك عن ابن عباس ومجاهد. وعلى القراءة الأولى قال بعضهم: كان لفرعون إله يعبد. قال الحسن البصري: كان لفرعون إله يعبد في السر. وقال في رواية أخرى: كان له جمانة في عنقه معلقة يسجد لها، وقال السدي في قوله تعالى: { وَيَذَرُكَ وَآلِهَتَكَ } وآلهته، فيما زعم ابن عباس، كانت البقر، كانوا إذا رأوا بقرة حسناء أمرهم فرعون أن يعبدوها، فلذلك أخرج لهم عجلا جسدا، فأجابهم فرعون فيما سأله بقوله: { سَنُقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ } وهذا أمر ثان بهذا الصنيع، وقد كان نكل بهم به قبل ولادة موسى، عليه السلام، حذرا من وجوده، فكان خلاف ما رامه وضد ما قصده فرعون. ^(٢) ويقول الله تعالى في قصة موسى عليه السلام أيضا: ﴿ وَجَوَزْنَا بِبَنِي

إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا آلِهَةً كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَيَنْظِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغْيِرْ

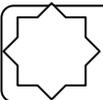
اللَّهُ أَبْغِيَكُمْ آلِهَةً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿ [الأعراف: ١٣٨ - ١٤٠].

وذاًت المبدأ واضح فى قصة عيسى عليه السلام، مع بنى اسرائيل، قال جل وعلا :

(١) جامع البيان فى تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري،

تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م، 39/13

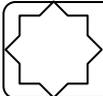
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير 267/2



﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ ۖ يَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۗ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ بُنِيَ لَهُمُ الْأَلَيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَيُّ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَعْبُدُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ صَرًا وَلَا نَفْعًا ۗ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [المائدة: ٧٢ - ٧٦] ، وقال سبحانه، في ذات المعنى :

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۖ آنتَ قُلْتُ لِلنَّاسِ امْخُذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۗ قَالَ سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَن أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ۖ إِن كُنتُ قُلْتُهُ ۖ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعَلَّمٰ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعَلَّمٰ مَا فِي نَفْسِكَ ۗ إِنَّكَ أَنْتَ عَلٰمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُمْ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ۖ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۗ وَكُنتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُمْ فِيهِمْ ۗ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تَعَدَّهُمْ فٰتِنَهُمْ عِبَادٌ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فٰئِنكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٧].

والخصومة والصراع في قضية الألوهية في دعوة رسول الاسلام ﷺ، أشهر من أن تذكر، وأبين من أن توضح، ويكفي أن نذكر موقف أهل مكة يوم أن قال لهم ﷺ: قولوا: لا إله إلا الله، فقد قال مَنِيبُ بن مُدْرِكِ بن مُنِيبِ الأَرْدِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَهُوَ يَقُولُ لِلنَّاسِ: قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا، فَمِنْهُمْ مَنْ تَفَلَ فِي



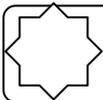
وَجْهَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَتًّا عَلَيْهِ التُّرَابَ، وَمِنْهُمْ مَنْ سَبَّهُ، حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارَ، فَأَقْبَلَتْ جَارِيَةٌ
بِعَسٍّ مِنْ مَاءٍ فَعَسَلَ وَجْهَهُ أَوْ يَدَيْهِ وَقَالَ: يَا بَنِيَّ، لَا تَخْشَى عَلَى أَبِيكَ عَيْلَةً وَلَا ذِلَّةً، فَقُلْتُ:
مَنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهِيَ جَارِيَةٌ وَضِيئَةٌ. والحديث له روايات وألفاظ
متعددة، (□) وفي رواية، عن ربيعة بن عباد الديلي، قال: إني لَمَعَ أَبِي رَجُلٌ شَابٌّ أَنْظَرُ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَّبِعُ الْقَبَائِلَ، وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ أَحْوَلُ وَضِيءٌ دُوْ جُمَّةٍ يَقِفُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى
الْقَبِيلَةِ، وَيَقُولُ: يَا بَنِي فُلَانٍ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ
شَيْئًا وَأَنْ تُصَدِّقُونِي حَتَّى أَنْفِدَ عَنِ اللَّهِ مَا بَعَثَنِي بِهِ، فَإِذَا فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَقَالَتِهِ،
قَالَ: الْآخِرُ مِنْ خَلْفِهِ يَا بَنِي فُلَانٍ إِنَّ هَذَا يُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تَسْلُخُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَحُلَفَاءَكُمْ
مِنَ الْحَيِّ بَنِي مَالِكِ بْنِ أْفَيْشٍ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْبِدْعَةِ وَالضَّلَالَةِ فَلَا تَسْمَعُوا لَهُ وَلَا
تَتَّبِعُوهُ، فَقُلْتُ لِأَبِي مَنْ هَذَا؟ قَالَ: عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ (□)، وبهذا نزل القرآن الكريم، يقول الله
تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هٰذَا سِحْرٌ كَذٰبٌ ﴿٤﴾ أَجْعَلُ الْاٰلِهَةَ اِلٰهًا وَاحِدًا
إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴿٥﴾ وَأَنْطَلِقُ اَلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا عَلَىٰ ءِالِهٰتِكُمْ إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا
سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي الْاٰلِهَةِ الْاٰخِرَةِ اِنْ هٰذَا اِلَّا اٰخُنُقٌ ﴿٧﴾ [سورة ص: ٤-٧].

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله (ذكر سبب نزول هذه الآيات: قال السدي: إن أناسا
من قريش اجتمعوا فيهم: أبو جهل بن هشام والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب
والأسود بن عبد يعوث في نفر من مشيخة قريش، فقال بعضهم لبعض: (انطلقوا بنا إلى
أبي طالب فلنكلمه فيه، فلينصفنا منه فليكيف عن شتم آلهتنا وندعه وإلهه الذي يعبد؛ فإنا

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک برقم 4219 وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه أحمد في المسند برقم

16023

(2) أخرجه أحمد في المسند برقم 16025

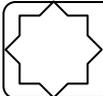


أساليب القرآن الكريم في تقرير الألوهية

نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا إليه شيء. فتعيرنا به العرب يقولون: تركوه حتى إذا مات عنه تناولوه). فبعثوا رجلا منهم يقال له المطلب ، فاستأذن لهم على أبي طالب فقال : (هؤلاء مشيخة قومك وسراتهم يستأذنون عليك. قال: أدخلهم. فلما دخلوا عليه قالوا: يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا فأنصفنا من ابن أخيك فمره فليكف عن شتم آهتنا وندعه وإلهه). قال: فبعث إليه أبو طالب فلما دخل عليه رسول الله ﷺ قال : يا ابن أخي هؤلاء مشيخة قومك وسراتهم وقد سألوك أن تكف عن شتم آهتهم ويدعوك وإلهك. قال: (يا عم أفلا أدعوهم إلى ما هو خير لهم؟) قال: وإلام تدعوهم؟ قال: (أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم). فقال أبو جهل من بين القوم: ما هي وأبيك؟ لنعطينها وعشرة أمثالها قال: تقولون: (لا إله إلا الله) فنفر وقال : سلنا غير هذا قال : (لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها) فقاموا من عنده غضابا، وقالوا: (والله لنشتمنك وإلهك الذي أمرك بهذا) ﴿ وَأَنْطَلِقُ الْمَلَائِكَةُ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آهَاتِهِمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾ [ص: ٦] (1)

فكل هذه المشاهد والمواقف تبين عظمة الألوهية وأهميتها، وحرص الأنبياء والمرسلين عليها، فالألوهية روح العقيدة وأساسها، ومفرق الطريق بين الاتجاه الحبيي والاتجاه المدمر، وحية النفس، فالنفس التي لا توحد المعبود نفس حائرة هالكة تتجاذبها السبل وتتخايل لها

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، ل محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى، 1420 هـ - 2000 م 153/21 ، وانظر تفسير القران العظيم لأبن كثير 30/4



الأوهام وتمزقها التصورات المتناقضة، وتناوشها الوسوس، فلا تنطلق مجتمعة لهدف من الأهداف، والقلوب لا تصلح إلا بأن تعبد الله وحده، ولا كمال لها ولا صلاح ولا لذة ولا سرور ولا فرح ولا سعادة بدون ذلك، وتحقيق الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وغير ذلك مما يتعلق بهذا الموضوع الذي في تحقيقه تحقيق لمقصود الدعوة النبوية، والرسالة الإلهية.

المطلب الثاني: مفهوم الألوهية وبيان معناها:

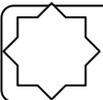
تعريف الألوهية لغة: تقول العرب أله إلهة وألوهية: عبد عبادة، ومنه لفظ الجلالة، وإلاه فعال بمعنى مفعول لأنه مألوه أي: معبود، والتأله التنسك والتعبد، والإلاهة والألوهة والألوهية: العبادة. وقيل: مأخوذ من أله يأله إلى كذا أي لجأ إليه، لأنه - سبحانه - المفرع الذي يلجأ إليه في كل أمر فالإله هو النبي يؤله ويعبد. ⁽¹⁾

تعريف الألوهية اصطلاحاً: يقول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ إِثْمًا هُوَ

إِلَهُهُ وَحْدٌ فَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ ﴾ النحل: ٥١، يقول الإمام الطبري - رحمه الله -: (إلهاً واحداً أي نخلص له العبادة، ونوحد له الربوبية، فلا نشرك به شيئاً، ولا نتخذ دونه رباً) ⁽²⁾، فالألوهية هي أفراد الله بجميع أنواع العبادة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (إثبات الإلهية لله وحده بأن يشهد أن لا إله إلا هو، ولا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يوالي

(1) انظر: معجم مقاييس اللغة 1/127، لسان العرب 13/468 - 469، القاموس المحيط ص 1603

(2) جامع البيان في تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري 1/562، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير



أساليب القرآن الكريم في تقرير الألوهية

إلا له، ولا يعادي إلا فيه، ولا يعمل إلا لأجله⁽¹⁾ ، ويقول الإمام ابن القيم - رحمه الله -:
(وتوحيد الإلهية المتضمن أنه وحده الإله المعبود المحبوب، الذي لا تصلح العبادة والذل
والخضوع والحب إلا له)⁽²⁾
وقيل في تعريفه أيضاً: (هو إفراده تعالى بالعبادة، والتأله له، والخضوع، والذل، والحب،
والافتقار، والتوجه إليه تعالى)⁽³⁾

المبحث الثاني: أساليب القرآن الكريم في تقرير الألوهية: وفيه مطالب:

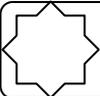
المطلب الأول: أسلوب الخطاب المباشر والاستدلال الواضح والبين، وذلك بأمر الله

(1) درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، لأحمد بن عبد السلام بن عبد
الحليم بن عبد السلام بن تيمية، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - 1417هـ -
1997م. تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، 224/1.

(2) بدائع الفوائد: لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز -
مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1416 - 1996، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي
132/4

(3) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرر المضية في عقد الفرقة المرضية، لشمس
الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق
، الطبعة: الثانية - 1402 هـ - 1982

129/1، وانظر: لوائح الأنوار السنوية 257/1، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، تخريج:
محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية - 1414، 29/1، بصائر
ذوي التمييز للفيروزابادي 172/5، يسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبد الله بن
محمد بن عبد الوهاب، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة - الرياض، ص36.



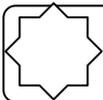
سبحانه للناس بعبادته والنهي عن عبادة ما سواه ، يقول تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران: ٦٤ ، يقول أبو جعفر الطبري : (يعني بذلك جل ثناؤه: (قل)، يا محمد، لأهل الكتاب، وهم أهل التوراة والإنجيل (تعالوا)، هلموا (إلى كلمة سواء)، يعني: إلى كلمة عدل بيننا وبينكم، والكلمة العدل، هي أن نوحّد الله فلا نعبد غيره، ونبرأ من كل معبود سواه، فلا نشرك به شيئاً.)^(١)

فدلالة هذه الآية بينة وواضحة بهذا التفسير، ومنه قول الله تعالى: ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَيِذَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء: ٣٦].

ففي هذه الآية يأمر تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له، والانقياد لأوامره ونواهيه، محبة وذلّاً وإخلاصاً له، في جميع العبادات الظاهرة والباطنة، وينهى عن الشرك به شيئاً، لأنه لا يرضى شركاً أصغر ولا أكبر، لا بملك ولا نبي ولا ولي ولا غيرهم من المخلوقين، الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، بل الواجب المتعين إخلاص العبادة له لما له من الكمال المطلق من جميع الوجوه.^(٢) ، يقول الله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ

(١) جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير 483/6

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص/177، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويح، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ - 2000م.



اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا
وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿[البقرة: ٢١- ٢٢]﴾، وقال جل وعلا: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا
قَوْلًا كَرِيمًا ﴿[الإسراء: ٢٣].

يقول الحافظ ابن كثير: (يقول تعالى أمرًا بعبادته وحده لا شريك له، فإن القضاء هاهنا

بمعنى الأمر. قال مجاهد: { وَقَضَىٰ } يعني: وصى، وكذا قرأ أبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، والضحاك بن مزاحم: (ووصى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) ولهذا قرن بعبادته بر الوالدين فقال: { وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا }^(١)

المطلب الثاني: إخباره سبحانه أنه خلق الخلق لعبادته،^(٢) كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا

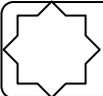
خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥١﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ
الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿[الذاريات: ٥٦- ٥٨].

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: (هذه الغاية، التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه،

(١) تفسير القرآن العظيم لأبن كثير 39/3

(٢) الإرشاد إلي صحيح الاعتقاد د.صالح بن فوزان الفوزان ص/ 27، طبعة الرئاسة العامة لإدارات

البحوث العلمية والارشاد، الطبعة الثانية 1412



والإعراض عما سواه، وذلك يتضمن معرفة الله تعالى، فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم. فما يريد منهم من رزق وما يريد أن يطعموه، تعالى الله الغني المغني عن الحاجة إلى أحد بوجه من الوجوه، وإنما جميع الخلق، فقراء إليه، في جميع حوائجهم ومطالبهم، الضرورية وغيرها، ولهذا قال: { إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ } أي: كثير الرزق، الذي ما من دابة في الأرض ولا في السماء إلا على الله رزقها، ويعلم مستقرها ومستودعها، { ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ } أي: الذي له القوة والقدرة كلها ... (1)

المطلب الثالث: إخباره أنه أرسل جميع الرسل بالدعوة إلى عبادته والنهي عن عبادة ما

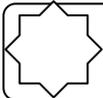
سواه (2)، لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فسيرُوا فِي الْأَرْضِ فَأَنْظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل: 36] .

يقول الإمام القرطبي: (قوله تعالى: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله) أي بأن أعبدوا الله ووحده. (واجتنبوا الطاغوت) أي اتركوا كل معبود دون الله كالشيطان والكاهن والصنم، وكل من دعا إلى الضلال. فمنهم من هدى الله) أي أرشده إلى دينه وعبادته. (3) ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: (فقد ذكر الله جل وعلا في هذه الآية

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص/813

(2) الارشاد إلي صحيح الاعتقاد د. صالح بن فوزان الفوزان ص/ 27، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والارشاد، الطبعة الثانية 1412،

(3) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، 103/10



الكرمية: أنه بعث في كل أمة رسولا بعبادة الله وحده، واجتناب عبادة ما سواه. وهذا هو معنى (لا إله إلا الله) لأنها مركبة من نفي وإثبات، فنفيها: هو خلع جميع المعبودات غير الله تعالى في جميع أنواع العبادات، وإثباتها: هو إفراجه جل وعلا بجميع أنواع العبادات بإخلاص، على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله عليهم صلوات الله وسلامه. وأوضح هذا المعنى كثيرا في القرآن عن طريق العموم والخصوص، فمن النصوص الدالة عليه مع عمومها قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَسَأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبُدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥]، ونحو ذلك من الآيات.

ومن النصوص الدالة عليه مع الخصوص في آحاد الأنبياء وأمهم، قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا لِعِبَادَةِ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ؟ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا لِعِبَادَةِ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ؟ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا لِعِبَادَةِ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ؟ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا إِسْوَاءَ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴾ [الأعراف: ٧٣] وقوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا لِعِبَادَةِ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ؟ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ



كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿[الأعراف: ٨٥]، إلى غير ذلك من الآيات.﴾^(١)

فهذه الآيات دالة على أن إرسال الرسل، وإنزال الكتب لأجل أن يعبد الله وحده،

وأن دعوة جميع الرسل واحدة، وهي تحقيق معنى "لا إله إلا الله".^(٢)

المطلب الرابع: الاستدلال على الإلهية بانفراجه بالربوبية والخلق والتدبير، وبالاستفهام

الإنكاري على البشر الذين أقروا بالثاني دون الأول، كما في قوله سبحانه: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ

وَسَلَّمَ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يَشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ

لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ

أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ لَهُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا

رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ أَكْثَرُ لَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ

الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا

نَذَرْتُمْ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ

رَحْمَتِهِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَلَّىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ

السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلُوبًا بَرِّهَانًا ﴿٦٤﴾ أَمَّنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلُوبًا بَرِّهَانًا ﴿٦٤﴾ [النمل: ٥٩-٦٤]

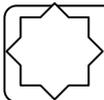
فكل آية من هذه الآيات تتضمن دليلاً عقلياً على تفرد الله تعالى بالألوهية، وبطلان

ألوهية ما سواه، وهذه الأدلة من جنس واحد، وتتشابه في الأمور الآتية:

أ_ الأسلوب القائم على الاستفهام الإنكاري، الذي يدل على نفي التسوية بين من

(١) أضواء البيان للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت، بدون سنة طبع. 374/2

(٢) المصدر السابق: 2/169، 289/2



يملك الربوبية، ومن لا يملك منها شيئاً.

ب_استناد الحجة في كل آية إلى مظهر من مظاهر ربوبية الله تعالى، وهو أساس الدليل.

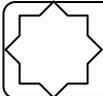
ج_تقدير تمام الاستفهام فيها جميعاً بنحو: "كمن لا يقدر على شيء من ذلك؟".
ويكون تقدير المفهوم من قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ حَذَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلَّ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠].

كمن لا يقدر على شيء من ذلك؟ وهكذا في الآيات بعدها.

د_ختم الآية بما يدل على نتيجة الدليل في قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ﴾ وهو استفهام إنكاري آخر مبني على الاستفهام الأول في قوله: ﴿أَمَّنْ﴾. يدل على عدم صحة التسوية بين الله وغيره في الألوهية، لعدم صحة التسوية بينه سبحانه وبينهم في الربوبية. فاتصاف الإله المعبود بالربوبية هو الوصف المؤثر والأصل في تأليهه.^(١)

يقول ابن كثير - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (استفهام إنكار على المشركين في عبادتهم مع الله آلهة أخرى، ثم شرع تعالى يبين أنه المتفرد بالخلق والرزق والتدبير دون غيره. . . وإنما يستحق أن يفرد بالعبادة، من هو المتفرد بالخلق والرزق ولهذا قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ﴾ أي: إله مع الله يُعبد، وقد تبين لكم ولكل ذي لب، أنه الخالق الرازق؟ ومن المفسرين من يقول: معنى قوله: ﴿أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ﴾ فَعَلَّ هذا؟ وهو يرجع إلى معنى

(١) الرسالة الأكملية لابن تيمية ص 18_19



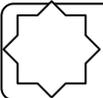
الأول، لأن تقدير الجواب أنهم يقولون: " ليس ثم أحد فعل هذا معه، بل هو المتفرد به،
فيقال: فكيف تعبدون معه غيره." (1)

ومما يدل على هذا الأسلوب أيضا قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ
وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ٢١﴾
- [٢٢]، إلى غير ذلك من الأدلة الواردة في هذا المعنى. (2)

المطلب الخامس: الاستدلال على وجوب عبادته سبحانه بانفراده بصفات الكمال
المطلق، وانتفاء ذلك عن آلهة المشركين، كما في قول الله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿١٦٥﴾ [مريم: ١٦٥]، فهذه الآية دليل على كمال الله
الذي يستحق العبادة، كما بين ذلك ابن جرير الطبري - رحمه الله - بقوله: (يقول تعالى
ذكرة: لم يكن ربك يا محمد ربّ السماوات والأرض وما بينهما نسيا، لأنه لو كان نسيا لم
يستقم ذلك، ولهلك لولا حفظه إياه، فالربّ مرفوع رداً على قوله (ربُّك) وقوله (فاعبُدْهُ)
يقول: فالزم طاعته، وذلّ لأمره ونهيّه (وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ) يقول: واصبر نفسك على النفوذ
لأمره ونهيّه، والعمل بطاعته، تفز برضاه عنك، فإنه الإله الذي لا مثل له ولا عدل ولا شبيه
في جوده وكرمه وفضله (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) يقول: هل تعلم يا محمد لربك هذا الذي
أمرناك بعبادته، والصبر على طاعته مثلاً في كرمه وجوده، فتعبده رجاء فضله وطوله دونه كلا

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 3/ 369.

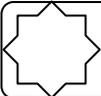
(2) القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن صالح العثيمين 208/2، دار ابن الجوزي، الطبعة
الثانية.



ثم نقل جملة من أقوال الصحابة والتابعين في تفسيرها، منها: ما جاء عن ابن عباس قال: (قوله) هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (يقول: هل تعلم للرب مثلاً أو شبيهاً)، وعن مجاهد في هذه الآية (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) قال: هل تعلم له شبيهاً، هل تعلم له مثلاً تبارك وتعالى) وعن قتادة، قوله (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) لا سميَّ لله ولا عدل له، كلُّ خلقه يقر له، ويعترف أنه خالقه، ويعرف ذلك، ثم يقرأ هذه الآية (وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ)، و عن ابن جريج، في قوله (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) قال: يقول: لا شريك له ولا مثل). ﴿٢﴾، ويؤكد هذا الأسلوب القرآني قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨]، وقوله تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام، أنه قال لأبيه: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤١-٤٢]، يقول السعدي: (أي: لم تعبد أصناماً، ناقصة في ذاتها، وفي أفعالها، فلا تسمع، ولا تبصر، ولا تملك لعبادها نفعاً ولا ضراً، بل لا تملك لأنفسها شيئاً من النفع، ولا تقدر على شيء من الدفع، فهذا برهان جلي دال على أن عبادة الناقص في ذاته وأفعاله مستقبح عقلاً وشرعاً. وكل بتبنيها وإشارته، أن الذي يجب ويحسن عبادة من له الكمال، الذي لا ينال العباد نعمة إلا منه، ولا يدفع عنهم

(١) جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير 226/18

(٢) المصدر السابق 226/18



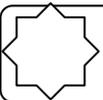
نقمة إلا هو، وهو الله تعالى). (1)، ومن هذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ (14) يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (15) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (16) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿[فاطر: ١٤- ١٧]، أي { وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ } من الأوثان والأصنام { مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ } أي: لا يملكون شيئاً، لا قليلاً ولا كثيراً، حتى ولا القطمير الذي هو أحقر الأشياء، وهذا من تنصيص النفي وعمومه، فكيف يُدْعُونَ، وهم غير مالكين لشيء من ملك السماوات والأرض؟ ومع هذا { إِنْ تَدْعُوهُمْ } لا يسمعونكم لأنهم ما بين جمد وأموات وملائكة مشغولين بطاعة ربهم. { وَلَوْ سَمِعُوا } على وجه الفرض والتقدير { مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ } لأنهم لا يملكون شيئاً، ولا يرضى أكثرهم بعبادة من عبده، ولهذا قال: { وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ } أي: يتبرأون منكم، ويقولون: { سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ }، { وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ } أي: لا أحد ينبيئك، أصلق من الله العليم الخبير، فلجزم بأن هذا الأمر، الذي نبأ به كأنه رأي عين، فلا تشك فيه ولا تتر. فتضمنت هذه الآيات، الأدلة والبراهين الساطعة، الدالة على أنه تعالى المألوه المعبود، الذي لا يستحق شيئاً من العبادة سواه، وأن عبادة ما سواه باطلة متعلقة بباطل، لا تفيد

عابده شيئاً. (2)، وهذا ما يؤكد قوله سبحانه: ﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمٌ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا

جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلُمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (148) وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدَّضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَعْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ

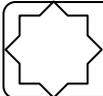
(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص/494

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص/686



مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿[الأعراف: ١٤٨- ١٤٩]، يقول ابن القيم: (إو كذلك قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿[الشورى: ١١] [إنما قصد به نفي أن يكون معه شريك أو معبود يستحق العبادة والتعظيم كما يفعله المشبهون والمشركون ولم يقصد به نفي صفات كماله وعلوه على خلقه وتكلمه بكتبه وتكليمه لرسله ورؤية المؤمنين له جهرة بأبصارهم كما ترى الشمس والقمر في الصحو فإنه سبحانه إنما ذكر هذا في سياق رده على المشركين الذين اتخذوا من دونه أولياء يوالونهم من دونه فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فِرَاقُ فِي الْجَنَّةِ وَفِرَاقُ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَأَلَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَخْلَقْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحَكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿[الشورى: ٦- ١١] فتأمل كيف ذكر هذا النفي تقريراً للتوحيد وإبطالاً لما عليه أهل الشرك من تشبيه آلهتهم وأوليائهم به حتى عبدوهم معه فحرفها المحرفون وجعلوها ترسأ لهم في نفي صفات كماله وحقائق أسمائه وأفعاله) ﴿١١﴾

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر: دار



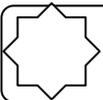
المطلب السادس: بيان ضعف وعجز الآلة التي عبدت من دون الله تعالى، وما ورد في

هذا قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [المائدة: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿ أَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١١١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩١-١٩٢] وقال الله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١٧].

ففي هذه الآية الكريمة ينكر سبحانه على من ساوى بينه وبين تلك الآلهة المزعومة في الألوهية والعبادة، مبيناً أن مقتضى النظر العقلي هو عدم التسوية، وذلك أن الله تعالى هو الخالق لكل شيء، والذين يدعون من دونه لا يخلقون شيئاً، وهذا بإقرارهم، فيلزمهم التفريق بين الله جل وعلا، وهذه الآلهة الباطلة، إذ لا يجوز أن يسوى بين الخالق لكل شيء، وبين من لا يخلق شيئاً في الألوهية واستحقاق العبادة، والتسوية بينهما ظلم وجهل. قال ابن تيمية - رحمه الله: (وقد بين أن الخلق صفة كمال، وأن الذي يخلق أفضل من الذي لا يخلق، وأن من عدل هذا بهذا فقد ظلم) [١]، والمخلوقات التي عبدها الناس من دون الله تعالى، إما أن تكون الملائكة، أو الرسل والأنبياء، أو الأولياء والصالحين، أو بقية البشر، أو الحيوان، أو النباتات والأشجار، أو الجمادات والأصنام، أو الشيطان، وكل هذه المعبودات المخلوقة بين القرآن ضعفها وعجزها.

فالقرآن الكريم بين عجز وضعف الملائكة وحاجتهم لله عزوجل، كما جاء في قوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۗ ﴾

(١) الرسالة الأكملية، ص/16.

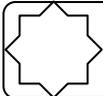


قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ

إِيَّاكُمْ لَعَلَّ هُدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿سبأ: ٢٣- ٢٤﴾

يقول الحافظ ابن كثير_ رحمه الله _ (وقوله: { حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ } . وهذا أيضا مقام رفيع في العظمة وهو أنه تعالى إذا تكلم بالوحي، سمع أهل السموات كلامه، أرعدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشي. قاله ابن مسعود ومسروق، وغيرهما. { حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ } أي: زال الفرع عنها. قال ابن عباس، وابن عمر وأبو عبد الرحمن السلمي والشعبي، وإبراهيم النَّخَعِيُّ، والضحاك والحسن، وقتادة في قوله تعالى: { حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ } يقول: جُلِّيَ عن قلوبهم، وقرأ بعض السلف - وجاء مرفوعا-: " حَتَّىٰ إِذَا فَرَّغَ " بالغين المعجمة، ويرجع إلى الأول. فإذا كان كذلك يسأل بعضهم بعضا: ماذا قال ربكم؟ فيخبر بذلك حملة العرش للذين يلونهم، ثم الذين يلونهم لمن تحتهم، حتى ينتهي الخبر إلى أهل السماء الدنيا؛ ولهذا قال: { قَالُوا الْحَقُّ } أي: أخبروا بما قال من غير زيادة ولا نقصان، { وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ } . وقد اختار ابن جرير القول الأول: أن الضمير عائد على الملائكة. (١). هذا هو الحق الذي لا مرية فيه، لصحة الأحاديث فيه والآثار، ولنذكر منها طرفا يدل على غيره: وقال البخاري عند تفسير هذه الآية الكريمة في صحيحه: حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو، سمعت عِكْرِمَةَ، سمعت أبا هُرَيْرَةَ يقول: إن نبي الله ﷺ قال: " إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فُزِعَ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي

(١) انظر جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير 64/22



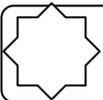
قال: الحق، وهو العلي الكبير فيسمعها مُستترق السمع، ومستترق السمع - هكذا بعضه فوق بعض - ووصف سفيان بيده - فَحَرَّفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ - فيسمع الكلمة، فيلقِيها إلى مَنْ تَحْتَهُ، ثم يلقِيها الآخر إلى مَنْ تَحْتَهُ، حتى يلقِيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشَّهاب قبل أن يلقِيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كَذْبَةٍ، فيقال: أليس قد قال لنا يومَ كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيصتق بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء انفراد بإخراجه البخاري دون مسلم من هذا الوجه، وقد رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، من حديث سفيان بن عيينة، به. ⁽¹⁾، حديث آخر: فعن النواس بن سَمْعَانَ قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أراد الله أن يوحى بأمره تكلم بالوحي، فإذا تكلم السموات منه رجفة - أو قال: رعدة - شديدة؛ من خوف الله، فإذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا وخرروا لله سجداً، فيكون أول مَنْ يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد، فيمضي به جبريل على الملائكة، كلما مرَّ بسماء سماء سألها ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول: قال: الحق، وهو العلي الكبير. فيقولون هم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي حيث أمره الله من السماء والأرض). ⁽²⁾ ⁽³⁾

وأما ما جاء في حجة الأنبياء والرسل عليهم السلام، لله تعالى فكثير، ومن ذلك قوله

(1) أخرجه البخاري برقم (4800) و أبي داود برقم (3989) والترمذي برقم (3223) ابن ماجه برقم (194).

(2) وكذا رواه ابن جرير وابن خزيمة، عن زكريا بن أبان المصري، عن نعيم بن حماد، به. تفسير الطبري (63/22) والتوحيد لابن خزيمة ص (95) ورواه ابن عاصم في السنة برقم (515) من طريق محمد بن عوف، عن نعيم بن حماد، به.

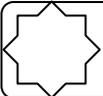
(3) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - 591_590/3



تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٥﴾ [القمر: ٩- ١٥].

يقول الشيخ السعدي - رحمه الله - { أَنِّي مَغْلُوبٌ } لا قدرة لي على الانتصار منهم، لأنه لم يؤمن من قومه إلا القليل النادر، ولا قدرة لهم على مقاومة قومهم، { فَانْتَصِرُ } اللهم لي منهم، وقال في الآية الأخرى: { رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا } الآيات، فأجاب الله سؤاله، وانتصر له من قومه، قال تعالى: { فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ } أي: كثير جدا متتابع، { وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا } فجعلت السماء ينزل منها من الماء شيء خارق للعادة، وتفجرت الأرض كلها، حتى التنور الذي لم تجر العادة بوجود الماء فيه، فضلا عن كونه منبعا للماء، لأنه موضع النار. { فَالْتَقَى الْمَاءُ } أي: ماء السماء والأرض { عَلَى أَمْرٍ } من الله له بذلك، { قَدْ قُدِرَ } أي: قد كتبه الله في الأزل وقضاه، عقوبة لهؤلاء الظالمين الطاغين، { وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ } أي: ونحينا عبدنا نوحا على السفينة ذات الألواح والدرس أي: المسامير التي قد سمرت بها ألواحها وشد بها أسرها، { تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا } أي: تجري بنوح ومن آمن معه، ومن حملة من أصناف المخلوقات برعاية من الله، وحفظ منه لها عن الغرق ونظر، وكلاء منه تعالى، وهو نعم الحافظ الوكيل (١) فهذه الآية بهذه البيان والتفسير دليل واضح على حاجة الرسل والأنبياء - عليهم السلام - الله تعالى،

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص/825



لأنهم عند الشدائد يعتصمون به تعالى وينتصرون به سبحانه، وهو ما يعضده قوله تعالى:

﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَنْفُخُ فِيهِ، لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ، عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ، عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ، عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ هود: ٤٥- ٤٧، وقال الله تعالى في شأن، هود عليه السلام: ﴿ قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي ءَالِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَآشْهَدُوْا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ءَلَيْكُمْ وَيَسْخَلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوْدًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [هود: ٥٣- ٥٨]

فدلت هذه الآيات على أن هوداً عليه السلام أنزل حاجته وفاقته بربه ومولاه الذي

توكل عليه واعتصم به تعالى، لصد كيد المشركين وءالهتم. ^(١)

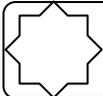
وقال الله تعالى في بيان حاجة الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وءَابَاؤُكُمْ ءَالِقَدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَٱلْحَقِيئَةَ

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور 232/7

بِالصَّبْرِ وَالْحَمْرِ ۝۸۳ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ۝۸۴ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ الْجَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿الشعراء: ٧٥- ٨٥﴾ قال الإمام البغوي في تفسيرها: قوله: { قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ } الأولون { فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي } أي: أعداء لي، ووحدته على معنى أن كلَّ معبودٍ لكم عدو لي ... وقيل: "فإنهم عدو لي" على معنى إني لا أتولاهم ولا أطلب من جهتهم نفعاً، كما لا يتولَّى العدو، ولا يُطلب من جهته النفع. قوله: { إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ } اختلفوا في هذا الاستثناء، قيل: هو استثناء منقطع، كأنه قال: فإنهم عدو لي لكن رب العالمين وليي. ^[١] وقيل: إنهم كانوا يعبدون الأصنام مع الله، فقال إبراهيم: كل من تعبدون أعدائي إلا ربَّ العالمين. ^[٢] وقيل: إنهم غير معبود لي إلا رب العالمين، فإني أعبده. وقال الحسين بن الفضل: معناه إلا من عبَدَ ربَّ العالمين. ثم وصف معبوده فقال: { الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ } أي: يرشدني إلى طريق النجاة { وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ } أي: يرزقني ويغذني بالطعام والشراب، فهو رازقي ومن عنده رزقي { وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ } أي: يبرئني من المرض { وَالَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ } أدخل "ثم" هاهنا للتراخي، أي: يميتني في الدنيا ويحييني في الآخرة. { وَالَّذِي أَطْمَعُ } أي: أرجو، { أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ } أي: خطاياي يوم الحساب... وهذا كله احتجاج من إبراهيم على قومه، وإخبار أنه لا يصلح للإلهية من لا يفعل هذه الأفعال. { رَبُّ هَبْ لِي حُكْمًا } قال ابن عباس: معرفة حدود الله وأحكامه. وقال مقاتل:

(١) وهو قول أكثر النحويين: انظر: البحر المحيط: 24/7، معاني القرآن للنحاس: 86/5، زاد المسير: 6/128.

(٢) قاله ابن زيد، زاد المسير: 128/6



الفهم والعلم. وقال الكلبي: النبوة⁽¹⁾ { وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ } بمن قبلي من النبيين في المنزلة والدرجة. { وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ } أي: ثناء حسنًا، وذكرًا جميلًا وقبولًا عامًا في الأمم التي تجيء بعدي، فأعطاه الله ذلك، فجعل كل أهل الأديان يتولّونه ويشنون عليه. قال القتيبي: وضع اللسان موضع القول على الاستعارة لأن القول يكون به. { وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ } أي: ممن تعطيه جنة النعيم.⁽²⁾

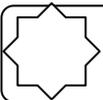
وقال الله تعالى في شأن سيد الرسل، محمد بن عبدالله، ﷺ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ

أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (١٢٨) **وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴿١٢٩﴾ [آل عمران: ١٢٨-١٢٩]، وفي تفسير هذه الآيات يقول ابن كثير رحمه الله - (عن الزهري، حدّثني سالم بن عبد الله، عن أبيه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول - إذا رفع رأسه من الركوع، في الركعة الأخيرة من الفجر-: "اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا" بعد ما يقول: "سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، ربنا ولك الحمد". فأنزل الله: { لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ } إلى قوله: { فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ } . وعن حنظلة بن أبي سفيان قال: سمعت سالم بن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ يدعو على صفوان بن أمية، وسُهَيْل بن عمرو، والحارث بن هشام، فنزلت: { لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ }⁽³⁾. وقال الإمام أحمد: حدثنا هُشَيْمٌ، حدثنا حُمَيْدٌ، عن أنس، رضي الله عنه أن

(1) اعتمده الطبري ولم يذكر غيره، وهو مروى أيضا عن ابن عباس وانظر الأقوال في: زاد المسير: 6/

(2) معالم التنزيل للبغوي 117/6-118

(3) أخرجه البخاري برقم (4069). هكذا ذكر هذه الزيادة البخاري معلقة ومرسلة



النبي ﷺ كَسَرَتْ رَبَاعِيَّتَهُ يَوْمَ أَحَدَ، وَشَخَّ فِي جِبْهَتِهِ حَتَّى سَالَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِهِ، فَقَالَ: "كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ، عَزَّ وَجَلَّ". فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: { لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ } { انفرد به مسلم، فرواه عن القعني، عن حماد، عن ثابت، عن أنس. ⁽¹⁾

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا يحيى بن واضح، حدثنا الحسين بن واقد، عن مطر، عن قتادة قال: أصيب النبي ﷺ يوم أحد وكسرت رباعيته، وفرق حاجبه، فوقع وعليه درعان والدم يسيل، فمر به سالم مولى أبي حذيفة، فأجلسه ومسح عن وجهه، فأفاق وهو يقول: "كَيْفَ يَقُومُ فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ؟" فَأَنْزَلَ اللَّهُ: { لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ } وكذا رواه عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، بنحوه، ولم يقل: فأفاق، ⁽²⁾ ثم قال تعالى: { وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ } أي: الجميع ملك له، وأهلها عبيد بين يديه { يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ } أي: هو المتصرف فلا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، والله غفور رحيم ⁽³⁾.

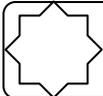
وإذا كان الأنبياء والمرسلين عليهم السلام في حاجة عظيمة لله تعالى، فما هو دونهم أشد حاجة وعجزاً.

وهذا الأسلوب الذي هو بيان ضعف وعجز المعبودات التي عبدت من دون

(1) أخرجه مسلم برقم (1791) وأحمد في المسند (99/3).

(2) انظر تفسير الطبري (197/7، 198) وتفسير عبد الرزاق (135/2).

(3) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير 1/433.



الله، استخدمه إبراهيم عليه السلام، في إقناع قومه، وإبطال عبادة الآلهة التي عُبِدت من دون الله، فهو يُبين ضعف معبوداتهم من الكواكب والأصنام وغيرها، كما جاء في قوله تعالى:

﴿ وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَليَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ؕ قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَأُحِبُّ ٱلْأَفْلٰكِ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى ٱلْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى ٱلشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُغۡوِمِ ٱبْنِي بِرِئِيۡءٍ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ [الأنعام: ٧٥ - ٧٨]،

فرصد هذه الكواكب واحداً واحداً وهي تغيب وتأفل، ليأخذ من حالها البرهان الواضح على بطلان ألوهيتها، إذ من يرعاهم ويدبر شئونهم حال غيابها، ولذا وجب عليهم أن يعبدوا الإله الموصوف بصفات الكمال الذي لا يغيب ولا يأفل، فيطلع على أحوالهم ويدبر شئونهم وشئون الكون. (١)

وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ ٱلشَّمٰثِلُ ٱلَّتِي ٱنتُّهُمَآ عَلَيْكُمۡ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَآءَنَا هَآؤُلَآءِ عِبَادِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ ٱنتُمْ وءِآبَآؤُكُمْ فِي ضَلٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا ٱجْتَنَبْنَا ٱلْحَقَّ ٱمۡرَأَتٍ مِّنَ ٱللَّعِينِ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذٰلِكُمۡ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهُ لَأكِيدَنَّ ٱصۡنَعَكُمۡ بَعْدَ ٱنۡ تَوَلَّوۡا مُدۡرِبِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمۡ جُذٰدًا ؕ ٱلَّا كَبِيرًا هُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مِنۡ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا ؕ إِنَّهُ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُ ؕ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَٱتَوُوا بِهِۦ عَلَىٰ ٱعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنتَ فَعَلتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يٰٓإِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسَتَلُوهُمۡ ؕ ٱنۡ كَاۡتُوا

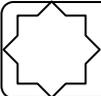
(١) انظر تفسير السعدي ص/263

يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَلَمْ يَكُ لَكُمْ وَلَمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ [الأنبياء: ٥٢ - ٧٠].

وسلك موسى عليه السلام مع فرعون والسحرة المسلك نفسه، قال تعالى: ﴿فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَوُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَٰئَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِآهُهُمْ وَعَصِيَّهُمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا ءَأَمْتَابِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٦٤﴾ [طه: ٦٤، ٧٠].

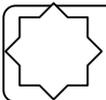
وهو أيضا منهج النبي - ﷺ - كما حكى الله عنه في غير موضع، ومنها قوله سبحانه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمٰوٰتِ أَتَدْعُونَ بِكُتُبٍ مِّن قَبْلِ هٰذَا أَوْ أَشْرَاقٍ مِّن عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صٰدِقِينَ ﴿٤﴾ [الأحقاف: ٤].

و الأسلوب نفسه استخدمه الصحابه رضوان الله عليهم، في دعوة المشركين، وهذا ما توضحه هذه القصة الشيقة: (فلما بعث النبي ﷺ في مكة .. وأرسل مصعب بن عمير رضي الله عنه .. داعيةً ومعلمًا لأهل المدينة .. أسلم ثلاثة أولاد لعمرو بن الجموح مع أمهم دون أن يعلم .. فعمدوا إلى أبيهم فأخبروه بخبر هذا الداعي المعلم وقرأوا عليه القرآن .. وقالوا : يا



أبانا قد اتبعه الناس فما ترى في اتباعه؟ فقال: لست أفعل حتى أشار مناف فأنظر ما يقول!! ثم قام عمرو إلى مناف.. وكانوا إذا أرادوا أن يكلموا أصنامهم جعلوا خلف الصنم عجوزاً تجيهم بما يلهمها الصنم في زعمهم.. أقبل عمرو يمشي بعرجته إلى مناف.. وكانت إحدى رجله أقصر من الأخرى.. فوقف بين يدي الصنم.. معتمداً على رجله الصحيحة.. تعظيماً واحتراماً.. ثم حمد الصنم وأثنى عليه ثم قال: يا مناف.. لا ريب أنك قد علمت بخبر هذا القادم.. ولا يريد أحداً بسوء سواك.. وإنما ينهانا عن عبادتك.. فأشرف عليّ يا مناف.. فلم يردّ الصنم شيئاً.. فأعاد عليه فلم يجب.. فقال عمرو: لعلك غضبت.. وإني ساكت عنك أياماً حتى يزول غضبك.. ثم تركه وخرج.. فلما أظلم الليل.. أقبل أبناؤه إلى مناف، فحملوه وألقوه في حفرة فيها أقدار وجيف.. فلما أصبح عمرو دخل إلى صنمه لتحتيته فلم يجده.. فصاح بأعلى صوته: ويلكم!! من عدا على إلهنا الليلة.. فسكت أهله.. ففزع.. واضطرب.. وخرج يبحث عنه.. فوجده منكساً على رأسه في الحفرة.. فأخرجه وطيبه وأعاد لمكانه.. وقال له: أما والله يا مناف لو علمت من فعل هذا لأخزيت.. فلما كانت الليلة الثانية أقبل أبناؤه إلى الصنم.. فحملوه وألقوه في تلك الحفرة المنتنة، فلما أصبح الشيخ التمس صنمه.. فلم يجده في مكانه.. فغضب وهدد وتوعد.. ثم أخرج من تلك الحفرة فغسله وطيبه.. ثم ما زال الفتية يفعلون ذلك بالصنم كل ليلة وهو يخرج كل صباح فلما ضاق بالأمر ذرعاً راح إليه قبل منامه وقال: ويحك يا مناف إن العنز لتمنع أستها.. ثم علق في رأس الصنم سيفاً وقال: ادفع عدوك عن نفسك.. فلما جنّ الليل حمل الفتية الصنم وربطوه بكلب ميت وألقوه في بئر يجتمع فيها النتن.. فلما أصبح الشيخ بحث عن مناف فلما رآه على هذا الحال في البئر قال:

ورب يبول الثعلبان برأسه *** لقد خاب من بالت عليه الثعالب



ثم دخل في دين الله .. وما زال يسابق الصالحين في ميادين الدين .. ووردت قريبا منها في شأن الصحابي راشد بن عبد ربه. ⁽¹⁾

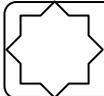
و بين سبحانه عجز هذه الألهة من جميع الوجوه، ومن هذا شأنه لا يصلح للعبادة، كما في قول الله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ⁽²⁾ وَلَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ. حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [سبأ: ٢٢- ٢٣]

فذكر سبحانه الاقسام الممكنة فان المشرك الذي يدعو غير الله ويرجوه ويخافه إما أن يجعله مالكا أو شريكا أو ظهيرا أو شفيعا وهكذا كل من طلب منه امر من الامور إما أن يكون مالكا مستقلا به وإما أن يكون شريكا فيه وإما أن يكون عوناً وظهيرا لرب الامر وإما أن يكون سائلا محضاً وشافعا الى رب الامر فاذا انتفت هذه الوجوه امتنعت الاستغاثة به . ⁽³⁾ فنفي أن يكون لغيره معه ملك أو شريك في الملك أو مظاهرة له ولم يثبت من الشفاعة النافعة إلا ما كان بإذنه وهذه الشفاعة التي يؤمن بها المؤمنون كشفاعة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم يوم القيامة ⁽⁴⁾ وهكذا هدد سبحانه من دعا شيئاً من دون الله وبين أنهم لا ملك لهم مع الله ولا شركاء في ملكه، وأنه ليس له عون ولا ظهير من المخلوقين . فقطع

(1) انظر البداية والنهاية/351/2، و92/5، وتاريخ دمشق/325/9، واركب معنا/4/1.

(2) الردعلى المنطقين لابن تيمية ص/529

(3) درتعارض العقل والنقل لابن تيمية 391/2



تعلق القلوب بالمخلوقات رغبة ورهبة وعبادة واستعانة، ولم يبق إلا الشفاعة وهي حق، لكن

قال الله تعالى: {وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} [١].

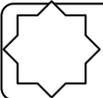
فَنَفَى عَمَّا سِوَاهُ كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الشَّفَاعَةُ؛ فَبَيَّنَ أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} وَقَالَ تَعَالَى عَنْ الْمَلَائِكَةِ: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى}. وَقَالَ: {وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يُأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى}. فَهَذِهِ " الشَّفَاعَةُ " الَّتِي يَظُنُّهَا الْمُشْرِكُونَ؛ هِيَ مُنْتَفِعِيَّةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا نَفَّاهَا الْقُرْآنُ.

المطلب السابع: ضرب الأمثال الحكيمة: ضرب الأمثال من أوضح وأقوى أساليب الإيضاح والبيان في إبراز الحقائق، ولذا فهو أنجح الوسائل والأساليب في دعوة المشركين وتعد الأمثال ومن أوضح الأدلة العقلية على بطلان الشرك، ووجوب توحيد الله وإفراده بالعبادة.

ومن هذه الأمثال ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢٧) ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿

فهذا المثل مضروب لإبطال الشرك، ببيان الفرق العظيم بين الله تعالى المتصف بالكمال والغنى، وبين تلك الأصنام وغيرها من المخلوقات الناقصة، وبطلان التسوية بينها وبين الله تعالى في الألوهية والعبادة، يقول ابن القيم - رحمه الله: (وهذا دليل قياس، احتج

(١) قاعدة جلية في التوسل والوسيلة لابن تيمية ص/160



الله سبحانه به على المشركين، حيث جعلوا له من عبيده وملكه شركاء، فأقام عليهم حجة يعرفون صحتها من نفوسهم، ولا يحتاجون فيها إلى غيرهم.⁽¹⁾ ويقول أيضاً: (والمعنى: هل يرضى أحد منكم أن يكون عبده شريكه في ماله وأهله حتى يساويه في التصرف في ذلك..؟ فإذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم فلم عدلتم لي من خلقي من هو مملوك لي، فإن كان هذا الحكم باطلاً في خاطركم وعقولكم.. فكيف تستجيزون مثل هذا الحكم في حقي؟ مع أن من جعلتموهم لي شركاء عبيدي وملكي وخالقي. فهكذا يكون تفصيل الآيات لأولي العقول)⁽²⁾.

ويقول ابن جرير - رحمه الله: (يقول تعالى ذكره: مثل لكم أيها القوم ربكم مثلاً من أنفسكم، هل لكم مما ملكت أيمانكم، يقول: من ممالئكم، من شركاء فيما رزقناكم من مال، فأنتم فيه سواء وهم. يقول: فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم، فكيف رضيتم أن تكون آلهتكم التي تعبدونها لي شركاء في عبادتكم إيلي، وأنتم وهم عبيدي ومالئكي، وأنا مالك جميعكم)⁽³⁾. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (يقول تعالى: إذا كنتم أنتم لا ترضون بأن المملوك يشارك مالكة لما في ذلك من النقص والظلم، فكيف ترضون ذلك لي وأنا أحق بالكمال).⁽⁴⁾

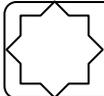
وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله -: (أي: هل أحد من عبيدكم وإمائكم

(1) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم 188/1

(2) الأمثال في القرآن الكريم لابن القيم ص/203.

(3) جامع البيان 181/10

(4) مجموع الفتاوى 80/6



الأرقاء، يشاركم في رزقكم، وترون أنكم وهم فيه على حد سواء) [١]

وقال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ زَرَفْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا

فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِيانِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل]:

[٧٥]، تدور أقوال أهل العلم في تفسير هذا المثل، على أنه يدل على إلزام المشركين ببطلان التسوية بين الله المتصف بالكمال والغنى والقدرة التامة، وبين الأصنام ونحوها المتصفة بالنقص والعجز، وبطلان الشرك، في الألوهية واستحقاق العبادة، وعدم صحة المساواة بينه وبين الأصنام أو غيرها من المخلوقات في الألوهية، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (فبين أن كونه مملوكاً عاجزاً صفة نقص، وأن القدرة والملك والإحسان صفة كمال، وأنه ليس هذا مثل هذا. وهذا الله وذاك لما يُعبد من دونه) [٢]، وقال تعالى ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا

رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْيَكُ لَّا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَّا يَأْتِ

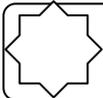
بِحَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ٧٦]، فهذا

المثل هو حجة أخرى بينها الله تعالى لإبطال الشرك، وأن التسوية بين الكامل والناقص غير صحيحة في دلالة العقول، فالمثل يتضمن الاحتجاج على المشركين بنظر العقول الصحيحة التي تحكم ببطلان التسوية بين الكامل الذي يتكلم ويدل على الخير وهو مستقيم على الحق لا يزول عنه، وبين الناقص الأبيك الذي لا يأتي بخير. وبذلك يبطل ما يزعمه المشركون من عبادة الآلهة. [٣]

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص/ 640

(٢) انظر: الرسالة الأكملية، ص (16)، ومجموع الفتاوى (80/6)

(٣) المصدر السابق ص/ 444



و قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ

اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ

الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿ [الحج: ٧٣]، فهذا المثل يقطع مواد الشرك من أصلها فالآلهة التي تعبد

من دون الله تعالى لا تقدر على خلق ذبابة، ولو اجتمعوا له، بل إن أخذ الذباب منهم شيئاً

ما استطاعوا رده منه فكيف إذن يعبدها عاقل!

يقول ابن القيم رحمه الله: (حقيق على كل عبد أن يستمع قلبه لهذا المثل ويتدبره حق

تدبره فإنه يقطع مواد الشرك من قلبه وذلك أن المعبود أقل درجاته أن يقدر على إيجاد ما

ينفع عابده وإعدام ما يضره والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق

الذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقه فكيف ما هو أكبر منه ولا يقدر على الانتصار من

الذباب إذا سلبهم شيئاً مما عليهم من طيب ونحوه فيستنقذوه منه فلا هم قادرون على خلق

الذباب الذي هو من أضعف الحيوانات ولا على الانتصار منه واسترجاع ما سلبهم إياه فلا

أعجز من هذه الآلهة ولا أضعف منها فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله وهذا

المثل من أبلغ ما أنزله الله سبحانه في بطلان الشرك وتجهيل أهله وتبحيح عقولهم والشهادة

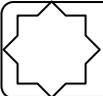
على أن الشيطان قد تلاعب بهم أعظم من تلاعب الصبيان بالكرة حيث أعطوا الإلهية

التي من بعض لوازمها القدرة على جميع المقدرات والإحاطة بجميع المعلومات والغنى عن

جميع المخلوقات وأن يصمد إلى الرب في جميع الحاجات وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات

وإجابة الدعوات فأعطوها صوراً وتمثيلاً تمتنع عليها القدرة على أقل مخلوقات الآلهة الحق

وأذلها وأصغرها وأحقرها ولو اجتمعوا لذلك وتعاونوا عليه. وأدل من ذلك على عجزهم

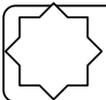


وانتفاء إلا هيتهم أن هذا الخلق الأقل الأذل العاجز الضعيف لو اختطف منهم شيئاً واستلبه فاجتمعوا على أن يستنقذوه منه لعجزوا عن ذلك ولم يقدرُوا عليه ثم سوى بين العابد والمعبود في الضعف والعجز بقوله {ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ} قيل الطالب العابد والمطلوب المعبود فهو عاجز متعلق بعاجز وقيل: هو تسوية بين السالب والمسلوب وهو تسوية بين الإله والذباب في الضعف والعجز وعلى هذا فقيل: الطالب الإله الباطل والمطلوب الذباب يطلب منه ما استلبه منه وقيل الطالب الذباب والمطلوب الإله فالذباب يطلب منه ما يأخذ مما عليه والصحيح أن اللفظ يتناول الجميع فضعف العابد والمعبود والمستلب والمستلب فمن جعل هذا إلها مع القوي العزيز فما قدره حق قدره ولا عرفه حق معرفته ولا عظمه حق تعظيمه (١)

ومن الأمثال أيضاً قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخْتَدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١].

فهؤلاء الذين اتخذوا من دون الله أولياء أضعف منهم ، بل هم في ضعفهم كالعنكبوت ، بل أضعف من بيتها التي اتخذته لتحمي به نفسها فما ازردت به إلا ضعفاً فكذلك الأولياء المعبودين من دون الله لا يزيدون من عبدهم إلا ضعفاً وبعداً عن الله تعالى ، فهذا مثل اتخاذ الأولياء من دونه ، واعتماد المشركين عليهم في حصول المنافع بما في ذلك العزة والقدرة والنصرة مثله باعتماد العنكبوت على أضعف البيوت ؛ فإن اعتمادهم عليها ما زادهم إلا ضعفاً ، ومولاتهم لها ما زادتهم إلا ذلّة ؛ جزاءً وفاقاً ، ومعاملةً للمشرك بنقيض

(١) أمثال القرآن لابن القيم 44/2 ، وإعلام الموقعين عن رب العالمين 244/1



مقصوده ، كما هي سنة الله مع المشركين .^(١)

ومن أبلغ الأمثال المضروبة في القرآن الكريم قول الله تعالى : ﴿ صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا

فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٢٩] ، فهذا المثل للمشرك والموحد ، فالمشرك لما كان يعبد آلهة شتى شبهه الله بعبد يملكه سادة متشاكسون مختلفون ، سيئة أخلاقهم يتنافسون في استعباده فلا يمكنه إرضائهم جميعاً ولذا فهو في نزاع وعذاب وعدم استقرار ، بخلاف الموحد فإن سيده واحد ، قد سلم له وعرف مقاصده وعرف طريق رضاه ، فهو في راحة وطمأنينة ، لا يستوي مع من سبقه ، هكذا المشرك والموحد لا يستويان أبداً .^(٢)

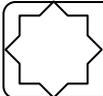
ومن ذلك قول الله سبحانه : ﴿ حَقَّاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ

السَّمَاءَ فَتَخَفَطُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج: ٣١]

شبه سبحانه التوحيد في علوه وارتفاعه وسعته وشرفه بالسماء، وشبه تارك التوحيد بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين، لأنه سقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر، وشبه الشياطين التي تقلقه بالطير التي تمزق أعضائه، وشبه هواه الذي يبعده عن الحق بالريح التي ترمي به في مكان بعيد . فهذا مثل في القرآن ذكره الله سبحانه لبيان بطلان الشرك وخسارة

(١) الحَرَّ الوَجِيز (تفسير ابن عطية) ، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية ، تحقيق / عبد السلام عبد الشافي . الطبعة الأولى 1422 هـ ، دار الكتب العلمية بيروت

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي ، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحي ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى 1420 هـ - 2000 م ، ص/723

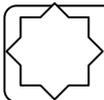


المشرك في الدنيا والآخرة. يقول السعدي: (أمرهم أن يكونوا { حُنْفَاءَ لِلَّهِ } أي: مقبلين عليه وعلى عبادته، معرضين عما سواه. { غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ } فمثلته { فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ } أي: سقط منها { فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ } بسرعة { أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ } أي: بعيد، كذلك المشرك، فالإيمان بمنزلة السماء، محفوظة مرفوعة. ومن ترك الإيمان، بمنزلة الساقط من السماء، عرضة للآفات والبلبات، فيما أن تخطفه الطير فتقطعه أعضاء، كذلك المشرك إذا ترك الاعتصام بالإيمان تخطفته الشياطين من كل جانب، ومزقوه، وأذهبوا عليه دينه ودنياه.)^(١)

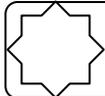
المطلب الثامن: بيان عاقبة المشركين الذين يعبدون غير الله، وبيان مآلهم مع من عبدوهم، حيث تتبرأ منهم تلك المعبودات في أحرج المواقف، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَلَّ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يُرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ سَكِيدٌ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرَأُ فَنَتَّبِعَ اللَّهُ مِنْهُمْ مِمَّا كُنَّا نَدْرَأُ كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ [البقرة: ١٦٥-١٦٧]

يقول ابن عاشور: (إذ ظرف وقع بدل اشتغال من ظرف { إذ يرون العذاب } أي لو تراهم في هذين الحالين حال رؤيتهم العذاب وهي حالة فظيعة وتشتمل على حال اتخاذهم وتبرئ بعضهم من بعض وهي حالة شنيعة وهما حاصلان في زمن واحد ... ، و { الذين اتبعوا } بالبناء إلى المجهول هم الذين ضللو المشركين ونصبوا لهم الأنصاب مثل عمرو بن

(١) المصدر السابق ص/ 538



لَحْيٍ، فقد أشعر قوله { اتَّبِعُوا } أنهم كانوا يَدْعُونَ إلى متابعتهم ، وأيد ذلك قوله بعده { فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا } أي نجازيهم على إخلافهم .
ومعنى براءتهم منهم تنصلهم من مواعيد نفعهم في الآخرة الذي وعدوهم في الدنيا والشفاعة فيهم ، وصرفهم عن الالتحاق بهم حين هَرَعُوا إليهم .
، وجملة { وتقطعت بهم الأسباب } معطوفة على جملة { تبرأ } أي وإذ تقطعت بهم الأسباب ، والضمير المجرور عائد إلى كلا الفريقين . والتقطع الانقطاع الشديد لأن أصله مطاوع قطعهُ بالتشديد مضاعف قطع بالتخفيف .
والأسباب جمع سبب وهو الحبل الذي يُمَد ليرتقى عليه في النخلة أو السطح ، وقوله { وتقطعت بهم الأسباب } تمثيلية شبهت هيئتهم عند خيبة أملهم حين لم يجدوا النعيم الذي تعبوا لأجله مدة حياتهم وقد جاء إبانة في ظنهم فوجدوا عوضه العذاب ، مجال المرتقى إلى النخلة ليحتنى الثمر الذي كد لأجله طول السنة فتقطع به السبب عند ارتقائه فسقط هالكاً ، فكذلك هؤلاء قد علم كلهم حينئذٍ أن لا نجاة لهم فحال الساقط من علو لا ترجى له سلامة ، وهي تمثيلية بديعة لأنها الهيئة المشبهة تشتمل على سبعة أشياء كل واحد منها يصلح لأن يكون مشبهاً بواحد من الأشياء التي تشتمل عليها الهيئة المشبه بها وهي :
تشبيه المشرك في عبادته الأصنام واتباع دينها بالمرتقى بجامع السعي ، وتشبيه العبادة وقبول الألهة منه بالحبل الموصل ، وتشبيه النعيم والثواب بالثمرة في أعلى النخلة لأنها لا يصل لها المرء إلا بعد طول وهو مدة العمر ، وتشبيه العمر بالنخلة في الطول ، وتشبيه الحرمان من الموصل للنعيم بتقطع الحبل ، وتشبيه الخيبة بالبعد عن الثمرة ، وتشبيه الوقوع في العذاب



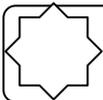
وقول الله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَا يُسْمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣ - ١٤]

يقول الشيخ السعدي: (فلما بين تعالى ما بين من هذه المخلوقات العظيمة، وما فيها من العبر الدالة على كماله وإحسانه، قال: { ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ } أي: الذي انفراد بخلق هذه المذكورات وتسخيرها، هو الرب المألوه المعبود، الذي له الملك كله. { وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ } من الأوثان والأصنام { مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ } أي: لا يملكون شيئاً، لا قليلاً ولا كثيراً، حتى ولا القطمير الذي هو أحقر الأشياء، وهذا من تنصيب النفي وعمومه، فكيف يُدْعُونَ، وهم غير مالكين لشيء من ملك السماوات والأرض؟

ومع هذا { إِنَّ تَدْعُوهُمْ } لا يسمعونكم لأنهم ما بين جماد وأموات وملائكة مشغولين بطاعة ربهم. { وَلَوْ سَمِعُوا } على وجه الفرض والتقدير { مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ } لأنهم لا يملكون شيئاً، ولا يرضى أكثرهم بعبادة من عبده، ولهذا قال: { وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ } أي: يتبرأون منكم، ويقولون: { سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ }

{ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ } أي: لا أحد ينبتك، أصلق من الله العليم الخبير، فاجزم بأن هذا الأمر، الذي نبأ به كأنه رأي عين، فلا تشك فيه ولا تتر. فتضمنت هذه الآيات، الأدلة والبراهين الساطعة، الدالة على أنه تعالى المألوه المعبود، الذي لا يستحق شيئاً من العبادة

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور 2/159 - 160



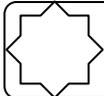
سواه، وأن عبادة ما سواه باطلة متعلقة بباطل، لا تفيد عبادة شيئاً.)^(١)

وقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴾ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿ [الأحقاف: ٥- ٦]

يقول النيسابوري: (وحيث بين الدليل على وجود الإله ووقوع الحشر فرع عليه الرد على عبدة الأوثان بقوله { قل أرايتم } وقد مر في « فاطر ». والمراد أنهم لا يستحقون العبادة أصلاً لأنهم ما خلقوا شيئاً في هذا العالم لا في الأرض ولا في السماء، ولم يدل وحي من الله على عبادتهم لأن هذا القرآن ناطق بالتوحيد وإبطال الشرك وما من كتاب قبله إلا هو ناطق بمثل ذلك).^(٢) وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُوا لِيَأْكُرْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِسْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ قَالُوا لَا يَمَّاكَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ [سبأ: ٤٠- ٤٢] وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَلْعَبِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيْ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَال سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تُعْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ

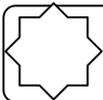
(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص/686- 687

(٢) تفسير النيسابوري 2/7



يقول ابن كثير: (هذا أيضاً مما يخاطب الله تعالى به عبده ورسوله عيسى ابن مريم، عليه السلام، قائلاً له يوم القيامة بحضرة من اتخذه وأمه إلهين من دون الله: { وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ } ؟ وهذا تهديد للنصارى وتوبيخ وتقريع على رؤوس الأَشهاد. هكذا قاله قتادة وغيره... ثم يقول: { أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ } ؟ فينكر أن يكون قال ذلك، فيؤتى بالنصارى فيسألون، فيقولون: نعم، هو أمرنا بذلك ... وقوله: { إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ } أي: إن كان صدرَ مني هذا فقد علمته يا رب، فإنه لا يخفى عليك شيء مما قلته ولا أردته في نفسي ولا أضمرته؛ ولهذا قال: { تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ } بإبلاغه { أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ } أي: ما دعوتهم إلا إلى الذي أرسلتني به وأمرتني بإبلاغه: { أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ } أي: هذا هو الذي قلت لهم، { وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ } أي: كنت أشهد على أعمالهم حين كنت بين أظهرهم، { فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }... رواه البخاري عند هذه الآية عن الوليد، عن أبي شعبة - وعن محمد بن كثير، عن سفيان الثوري، كلاهما عن المغيرة بن النعمان، به. (١) وقوله: { إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } هذا الكلام يتضمن رد المشيئة إلى الله، عز وجل، فإنه الفعال لما يشاء، الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. ويتضمن التبري من

(١) أخرجه البخاري برقم (4625)، و مسلم في صحيحه برقم (3023)، الطيالسي في مسنده برقم (2638)



النصارى الذين كذبوا على الله، وعلى رسوله، وجعلوا لله نداً وصاحبة وولداً، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ... ﴿٦٦﴾

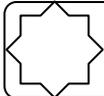
المطلب التاسع: تسفيه المشركين الذين يعبدون غير الله تعالى، وتسفيه الآلهة التي يعبدونها، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ [٦٦-٦٧]، أي: ما أضلكم وأخسر صفقتكم، وما أحسكم، أنتم وما عبدتم من دون الله، إن كنتم تعقلون عرفتم هذه الحال، فلما عدتم العقل، وارتكبتم الجهل والضلال على بصيرة، صارت البهائم أحسن حالا منكم. ﴿٦٦﴾

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ﴾ [٥-٦] [الأحقاف: ٥-٦] المطلب العاشر: رده سبحانه على المشركين في اتخاذهم الوسائط بينهم وبين الله بأن الشفاعة ملك له سبحانه؛ ولا تطلب إلا منه، ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، بعد رضاه عن المشفوع له.

قال الله سبحانه: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَآ يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [٤٢] قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ، مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٢﴾

(١) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير 232/3 - 234

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص/526



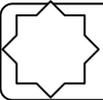
[الزمر: ٤٣- ٤٤] ، وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ

مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ
وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ
الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ البقرة: ٢٥٥ وقوله جل وعلا : ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي

شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَرِضَى ﴾ [النجم: ٢٦]

فبين سبحانه في هذه الآيات أن الشفاعة ملكه وحده، لا تطلب إلا منه، لا تحصل إلا بعد إذنه للشافع ورضاه عن المشفوع له. يقول ابن القيم - رحمه الله - (...والذي في قلوب هؤلاء المشركين وسلفهم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله وهذا عين الشرك وقد أنكر الله عليهم ذلك في كتابه وأبطله واخبر أن الشفاعة كلها له وأنه لا يشفع عنده احد الا لمن أذن الله أن يشفع فيه ورضي قوله وعمله وهم أهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء فإنه يأذن سبحانه لمن يشاء في الشفاعة لهم حيث لم يتخذوا شفعاء من دونه فيكون أسعد الناس بشفاعة من يأذن له صاحب التوحيد الذي لم يتخذ شفيعا من دون الله، والشفاعة التي أثبتها الله ورسوله الشفاعة الصادرة عن اذنه لمن وحده والشفاعة التي نفاها الله الشفاعة الشركية في قلوب المشركين المتخذين من دون الله شفعاء فيعاملون بنقيض قصدهم من شفاعتهم ويفوز بها الموحدون فتأمل قول النبي صلى الله عليه و سلم لأبي هريرة وقد سأله من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله قال: (أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله) ^(١) كيف جعل اعظم الاسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد عكس ما عند المشركين أن الشفاعة تنال بالتخاذم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم من دون الله فقلب

(١) أخرجه البخاري برقم: 99، وبرقم 6570



أساليب القرآن الكريم في تقرير الألوهية

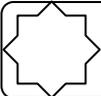
النبي صلى الله عليه و سلم ما في زعمهم الكاذب وأخبر ان سبب الشفاعة تجريد التوحيد فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع ومن جهل المشرك اعتقاده أن من اتخذ ولياً أو شفيعاً أنه يشفع له وينفعه عند الله كما يكون خواص الملوك والولاة تنفع من والاهم ولم يعلموا ان الله لا يشفع عنده احد في الشفاعة الا بإذنه ولا يأذن في الشفاعة الا لمن رضي قوله وعمله كما قال تعالى في الفصل الأول من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه البقرة وفي الفصل الثاني ولا يشفعون الا لمن ارتضى الأنبياء وبقي فصل ثالث وهو أنه لا يرضى من القول والعمل إلا التوحيد واتباع الرسول وعن هاتين الكلمتين يسأل الأولون والآخرون كما قال أبو العالية كلمتان يسأل عنهما الاولون والآخرون ماذا كنتم تعبدون وماذا أجبتم المرسلين فهذه⁽¹⁾

المطلب الحادي عشر: أسلوب الترغيب والترهيب ببيان حسن التوحيد وحسن عاقبته في الدنيا والآخرة، وبيان قبح الشرك وسوء عاقبته في الدنيا والآخرة:

يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْفَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦] ، ويقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ وَكَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌُ وَحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣] . والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً.

وما سقته من أساليب القرآن في الدعوة إلى توحيد الإلهية، وإبطال الشرك قليل من

(1) شرح القصيدة النونية لابن القيم 271/2



د. محمد إبراهيم أحمد إبراهيم

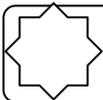
كثير، وما على المسلم إلا أن يقرأ القرآن بتدبر ليجد الخير الكثير والأدلة المقنعة والبراهين الساطعة، التي ترسخ عقيدة التوحيد في قلب المؤمن وتقتلع منه كل شبهة تدعوا للشرك.

الخاتمة

الحمد لله على التمام والكمال، وله سبحانه الثناء الحسن والشكر على الإنعام والإفضال، والصلاة والسلام على النبي محمد سني الخصال وعلى آله وصحبه العظام، وعلى من سار بنهجهم واستقام. وبعد:

ففي ختام هذا البحث توصلت للنتائج والتوصيات الآتية:

1/ إن الألوهية هي القضية الأولى للأنبياء والرسل عليهم السلام، وخصومتهم مع أكثر



أساليب القرآن الكريم في تقرير الألوهية

البشر فيها على سائر العصور والأجيال.

2/ إن التوجه بالألوهية والعبودية لله تعالى هي مفتاح الإصلاح والتغيير ، ومفتاح الخير في الدنيا والآخرة، والتوجه بها لغير الله تعالى ، مفتاح الشر والفساد في الدنيا والآخرة.

3/ إن عناية القرآن الكريم بالتوحيد وخاصة الألوهية ، عناية عظيمة وجليلة ، بل هي زبدته وخلاصته.

4/ إن أساليب القرآن الكريم في عرض الألوهية أساليب قوية وواضحة ومقنعة ومتنوعة يجد فيها كل إنسان حاجته وما يناسبه ليصل للهداية.

أما التوصيات:

5/ فعلى الدعاة والعلماء أن يسلكوا مسالك القرآن وأساليبه في الدعوة لتوحيد الألوهية لدقتها وسلامتها، وسهولة قبول المدعو لها.

6/ الحاجة ماسة اليوم لعرض التوحيد بأساليب سهلة وواضحة ومناسبة للمدعوين زماناً ومكاناً وحالاً، حتى تكون الدعوة للتوحيد أكثر جاذبية وإقناعاً.

7/ ضرورة الكتابة والدعوة للتوحيد، ومحاربة مظاهر الشرك المعاصر، بكل الوسائل والأساليب الممكنة والمتاحة كوناً وشرعاً.

